



مجلة

# مجمع اللغة العربية

الجزء الثامن

مطبعة وزارة التربية والتعليم

١٩٥٥

مجلة  
مجمع اللغة العربية

الجزء الثامن

مطبعة وزارة التربية والتعليم  
١٩٥٥

## بسم الله الرحمن الرحيم

### كلمة التحرير

هذا هو الجزء الثامن من مجلة المجمع ، يحوى أعمال المجمع الرسمية التي عرضت في مجالسه أو في مؤتمراته خلال ثلاث دورات متتابعة ، هي السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة ، من سنة ١٩٤٩ إلى سنة ١٩٥٢ ، إلا بقية من البحوث التي أقيمت في الدورة الثامنة عشرة نحسبنا أن يزداد بها حجم هذا الجزء ازدياداً يخرج عن المؤلف ، فأرجأناها إلى الجزء التاسع . وهناك أعمال المجمع التي تتابعت في الدورات التالية من الدورة التاسعة عشرة إلى دورة هذا العام ، معدة للنشر ، يرتقب الجمهور ظهورها ليتابع جهود المجمع ونشاطه .

وقد كنا نطمح حين أجهنا بمجلة المجمع إلى مطبعة وزارة التربية والتعليم أن تتمكن من إصدار أجزاء متتالية تستوعب ما تجمع في الدورات السابقة من بحوث ومصطلحات ، ولكن على الرغم مما بذله القائمون على هذه المطبعة من جهود مشكورة فإن وفرة ما لديها من أعمال لم تيسر للمجمع أن يحقق مبتغاه .

ومنذ عهد بعيد سعى المجمع إلى أن يكون هيئة لها استقلال مالي ، لكي تتمكن له أسباب العمل على نطاق واسع ، ولكي تتوافر له وسائل العناية بطبع إنتاجه ونشره . ويسعدنا اليوم أن ننوه بأن هذه الأمنية قد تحققت ، إذ أصدرت الحكومة في عهد الثورة المبارك قانوناً للمجمع يسبغ عليه شخصية اعتبارية ويتيح له استقلاله المالي - وقد نشرناه في صدر مواد هذا الجزء - وما كاد يصدر هذا القانون حتى أتبعه المجمع لأئحة داخلية نص فيها على أن تظهر مجلته مرتين على الأقل في العام ، وستنخذ الأمانة لتنفيذ ذلك في القريب ، حتى تخرج المجلة حافلة بألوان مختلفة من البحوث والدراسات تمثل نشاط المجمع في خدمة اللغة .

والله ولي التوفيق ما



## في أصول النحو

للعضو المحترم الأستاذ إبراهيم مصطفى\*

أبي الأسود الدؤلي الكتاني ، وأنه أول من وضع النحو - شاع ذلك حتى ما يرد .

وفي كلمة لي نشرت من قبل جمعت روايات المؤرخين في هذا ورتبتها حسب أزمان قائلها وتحريث النسخ أيضاً أيها أقدم وأسلم من التحريف فوجدتها تجمع أو تكاد تجمع على أبي الأسود وإن اختلفت العبارات كما ترون .

(١) وأول من نعرف أنه تكلم في وضع النحو محمد بن سلام الجمحي سنة ٢٣٢ . قال في مقدمة كتابه طبقات الشعراء : « وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي » ثم قال « ووضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم » وذكر من أخذ عن أبي الأسود وقال « ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبي اسحق فكان أول من بعج النحو ومد القياس والعلل » .

ولآراء ابن سلام قيمة تاريخية عظيمة لما امتاز به من صحة الرأي وقوة النقد ، ولكن نسخة الطبقات سقيمة ونصوصها مضطربة .

(٢) وأبو محمد عبد الله بن قتيبة (سنة ٢٧٦) في كتابه الشعر والشعراء في ترجمة أبي الأسود يقول « وهو أول من عمل كتاباً في النحو بعد علي بن أبي طالب » . وفي كتاب المعارف له « أبو الأسود أول من وضع العربية » .

النحو قانون اللغة الذي تعصم مراعاته من الخطأ في الكلام العربي . كذلك نتصور النحو فناخذ أنفسنا بأحكامه حين نكتب وحين نريد أن نقول قولاً صحيحاً ، بل إننا لننزم غيرنا هذه الأحكام مادام لنا سبيل إلى إلزامه .

ألا يكون من حقنا - بل من الحق علينا - أن نعود إلى هذا القانون فنسأله كيف تقرر له هذا السلطان ولم وجبت لأحكامه تلك الطاعة ؟ أحقاً أنه يمثل نظم العربية تمثيلاً صحيحاً دقيقاً لا يتجاوزها ولا يقع دونها ؟

وإذا فرض ذلك فلم كان هذا الاضطراب الشديد في أحكامه والخلاف البعيد بين علمائه واللغة واحدة ؟

إن من واجبنا أن نرجع إلى هذا النحو فنقرب كيف وضع ، ومم أخذ ، ولم استقر له هذا السلطان .

وهذا يرغمني أن أعود بكم بعيداً لنرى نشأة هذا العلم وخطواته ومدى سلطانه .

## نشأة النحو

مهما ذكرت نشأة النحو برز اسم

(\*) تلى هذا البحث في الجلسة الثامنة للمؤتمر (١٧ من يناير ١٩٥٠) ونوقش فيها وفي الجلسة الخامسة عشرة (٢٩ من يناير ١٩٥٠) . انظر القرار الثاني من القرارات المليية في هذه الدورة .

الأسود الدؤلى أن ينقط المصاحف فنقطها ورسم من النحو رسوماً ٨١. وتشهد روايات المدائني له بالتثبت والتحرى .

(٦) وأبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (سنة ٣٦٨) يقول في كتاب أخبار النحويين البصريين : -

اختلف الناس في أول من رسم النحو فقال قائلون أبو الأسود الدؤلى وقال آخرون نصر بن عاصم وقال آخرون بل عبد الرحمن ابن هرمز وأكثر الناس على أبي الأسود .

ثم قال « واختلف الناس في السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو فقال أبو عبيدة يعمر بن المثنى أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب عليه السلام العربية فكان لا يخرج شيئاً مما أخذه عن علي إلى أحد حتى بعث إليه زياد أن اعمل شيئاً تكون فيه إماماً ينتفع الناس به وتعرب به كتاب الله فاستعفاه حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ « إن الله برىء من المشركين ورسوله » فقال ما ظننت أمر الناس صار إلى هذا فرجع إلى زياد فقال أفعل ما أمر به الأمير فليبلغني كتاباً لقنا يفعل ما أقول ، فأتى بكتاب من عبد القيس فلم يرضه فأتى بآخر - قال أبو العباس أحسبه منهم - فقال أبو الأسود إذا رأيتني فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه فإن ضمنت فمى فانقط نقطة بين يدي الحرف فإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف فإن أتبت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين. فهذا نقط أبي الأسود ٨١. » ونسخة هذا الكتاب التي نقلت عنها صحيحة جيدة كتبت في زمن قريب من زمن المؤلف وصورتها الشمسية بمكتبة جامعة فؤاد الأول

(٣) وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد (سنة ٢٨٥) نقل عبارته الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن سنة ٣٥٠ قال: روى القالى عن الزجاج عن أبي العباس أن أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود وسئل عن أرشده إلى الوضع في النحو فقال تلقينته عن علي . ونقل هذه العبارة الحافظ بن حجر (سنة ٨٥٠) في الإصابة في ترجمة أبي الأسود قال: أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود وسئل عن نهج له الطريق فقال تلقينته عن علي .

(٤) وأبو الطيب عبد الواحد بن علي (سنة ٣٥١) يقول في كتاب مراتب النحويين « كان أول من رسم للناس النحو أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وكان أعلم الناس بكلام العرب وأبو الأسود أول من نقط المصحف واختلف الناس إليه يتعلمون العربية وفرع لهم ما كان أصل .

(٥) وأبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني (سنة ٣٥٦) يقول في ترجمة أبي الأسود وهو كان الأصل في بناء النحو وعقده ويرسوى عن أبي جعفر بن رسم النحوى أن أبا الأسود راعه لحن ابنته فشكا إلى الإمام علي وقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت الأعاجم وقص عليه لحن ابنته فأمره فاشترى صحفاً بدرهم وأملى عليه أن الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون وفرعوها ثم قال وهذا شيء سمعته وأنا صغير فرويته بمعناه .

ونقل عن المدائني قال « أمر زياد أبا

تسند إلى أبي الأسود وأبو الأسود يسنده إلى علي .

فإن كان النحو للإمام علي فقد وضع قبل سنة ٤٠ ، وإن كان لأبي الأسود بمشورة زياد فقد وضع بالبصرة بين سنتي ٤٥ و ٥٠ أيام زياد بالبصرة أو ٥٣ سنة وفاته بالكوفة .

وكلا الأمرين يجعل وضع النحو مبكراً جداً ، والباحثون حديثاً يستبعدون هذا التمييز ويرون فيه شذوذاً للنحو عن تطور الحياة العربية ونشأة علومها ويقول المستشرقون إن إسناد وضع النحو إلى أبي الأسود من حديث الخرافة ويقول المرحوم صادق الرافعي في كتابه أدب العرب « إن تاريخ وضع النحو لاسبيل إلى تحقيقه البتة » .

وقد حاولت أن أجهد منهداً آخر للبحث فرجعت إلى كتب النحو لا كتب التاريخ ونظرت في الأشموني والتصريح والهمع والارتشاف والمفصل والإنصاف وعينت بكتاب سيويه وجمعت أسماء من أسند إليهم رأي نحوي ورتبتها على تواريخها لأعلم أقدم عالم نسبت إليه مسألة نحوية وهذا إحصاء ماجاء في كتاب سيويه :

(١) عبدالله بن إسحاق المتوفى سنة ١١٧ في ٦ مواضع .

(٢) عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٥٠ في ١٨ موضعاً .

(٣) أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ في ٣٩ موضعاً .

(٤) الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٦٠ في

ونقل هذه العبارة بنصها ابن النديم في الفهرست وزاد عند كلمة (أبي العباس) كلمة « المبرد » أقول ودخول أبي العباس المبرد في سياق حديث أبي عبيدة ولم يذكر اسمه من قبل يستلزم أن نفهم أن النص قرئ على أبي العباس أو رواه فزاد فيه مانسب إليه .

(٧) محمد بن اسحق النديم صاحب الفهرست (حوال سنة ٣٨٠) يقول زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود اللؤلؤي وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقال آخرون رسم النحو نصر بن عاصم وقرأت بخط أبي عبد الله بن مقلة أنه قال :

كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية .

وأقوال العلماء بعد هذا نقل منه وجمع له كما نرى في طبقات الأدباء لابن الأنباري وطبقات النحاة للقفطي وفي رسالة السيوطي (السبب في وضع العربية) .

ويزيد ابن الأنباري (سنة ٥٧٧) أن لأبي الأسود مختصراً في النحو منسوباً إليه ويلخص الأقوال فيقول :

كان أبو الأسود أول من وضع النحو بالبصرة وزعم قوم أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز وزعم آخرون أنه نصر ابن عاصم . فأما من زعم أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز أو نصر بن عاصم فليس بصحيح والصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب لأن الروايات كلها



عن الإمام علي ورواية حفص التي يقرأ بها مسندة أيضاً إلى الإمام علي .

أما عبد الرحمن بن هرمز فقد كان من كبار التابعين وكان من أمثال الخليل والحسن البصري وأولئك الذين أثروا في التفكير العربي تأثيراً قوياً. ثم لم يذكرهم التاريخ إلا قليلاً. روى أن مالكاً اختلف إليه في علم لم يبيته في الناس يرون أن ذلك كان في أصول الدين .

وقد أقام بالحجاز وبالعراق وقصد إلى الإسكندرية وتوفي بها وينسب إليه مسجد في حي رأس التين فإن يكن له فقد جازته مصر الشكورة بما أنكرته الرواية وكتب التاريخ . وأرى أن إسناد بعضهم وضع النحو إليه لا يخلو من دلالة على مشاركته لأبي الأسود الرأي في اختطاط ما رسموا من ضبط المصحف بالنقط .

أما نصر بن عاصم فلهم لا يختلفون في أنه هو الذي وضع نقط الإعجام بطلب من الحجاج بن يوسف وهي النقط التي لا تزال نستعملها في تمييز الحروف المتشابهة في الرسم كالباء والتاء والثاء والنون .

فقد مضى القرن الأول الإسلامي في ضبط المصحف وإعرابه وكانوا يختلفون فيقولون النحو الرفع أو العربية الرفع ، يعنون طريق العرب ومجازها في القول . وابن جني يقول « النحو انتحاء سمت العرب في القول » . وكذلك ورد في اللسان . وكانوا يسمون نقط أبي الأسود إعراباً ونقط نصر إعجاباً .

٣٧٦ موضعاً وأكثر نقل سيويه عنه .  
(٥) يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٥ في ١٥٥ موضعاً .

وأقدم هؤلاء هو عبد الله بن أبي إسحاق وتسنده إليه آراء نحوية حتى في كتب المتأخرين كالأشعري المتوفى سنة ٩٠٠ والسيوطي سنة ٩١١ .

وأول ما نلاحظ أنا لم نجد في كتاب سيويه ولا فيما بعده من الكتب التي نظرناها أي رأى نحوي منسوب إلى أبي الأسود ولا إلى طبقتين من النحاة معه .

ونعلم أن النحاة المتأخرين منهم خاصة يعنون بذكر الخلافات والإحاطة بها وأسنادها وأن ذلك كان ينحصر في مطمئناً أن أرسل الحكم عاماً . ولكنني أقف عند أضييق حدود النتيجة فأقرر « أن أقدم من نسب إليه رأى نحوي في الكتب التي بأيدينا الآن هو عبد الله بن أبي إسحاق » .

فاذا عدت بهذه النتيجة لأقرأ بنورها النصوص والروايات التي جمعها وجدت أنهم يقولون « أول من رسم النحو » ، « أول من وضع في العربية » ، « أول من وضع نقط المصحف » . فعمل أبي الأسود الذي لا يرتاب فيه هو نقط المصحف لا إعرابه وذلك بنقط آخر الكلمة ، نقطة فوق الحرف للفتحة ، ونقطة تحته للكسر ، وللضمة نقطة بين يدي الحرف وهذا هو العمل الذي يستدعي كاتباً لفتناً كما طلب أبو الأسود من زياد وهذا هو العمل الذي بقيت آثاره إلى الآن في بعض مصاحفنا ... وأبو الأسود قد أخذ القرآن

حالت الألسن عن السليقة وارتضخت باللحن وانحرفت عن العربية . كان الوليد بن عبد الملك لحاناً وأخوه محمد . وكان عبيد الله بن زياد أوفر حظاً من اللحن . والحجاج بن يوسف يخشى اللحن ويلحن . سأل يوماً يحيى بن يعمر النحوي أتراني ألحن فقال الأمير أجل من ذلك فلما ألح عليه قال نعم وفي حرف من القرآن . وخالد بن صفوان الخطيب الميمني يقول له بلال بن أبي بردة تحدثني حديث الخلفاء وتلحن لحن السقاوات ؟ فهذا شأن الخاصة والأمراء وهم شديدي الاعتزاز بلغتهم والتباهي بالفصاحة فيها فكيف ترى حال العامة ؟

وقد صعب هذا الاضطراب اختلاط آخر كان بين مختلف القبائل العربية إذا اجتمعت في الجيوش والمهاجر فتقارضوا اللهجات بينهم .

كان عبد الله بن قيس الرقيات وهو قريشي يلهج لهجة يمنية (١) وكان الفرزدق التميمي ينطق من لهجة قريش فيخطئ حدودها ويقول قولاً لا يصححه قريشي ولا تميمي (٢) وكان حسان يجمع في البيت الواحد بين لهجتين مختلفتين (٣) . وأمثلة ذلك معروفة لهؤلاء وغيرهم .

أما هذا النحو الذي بأيدينا فنشأ مع القرن الثاني ، وأول من تكلم في مسألة من مسأله عبد الله بن أبي إسحاق ، يقول ابن سلام « أول من نهج النحو ومد القياس والعلل عبد الله بن أبي إسحاق » وفي طبقات الأدباء أنه أول من علل النحو وكان شديد التجريد للقياس .

وسئل يونس عن أبي إسحاق وعلمه فقال : « هو والنحو سواء » أي هي الغاية فيه ثم قال « ولو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه لضحك به ، ولو كان فيهم من له نظره وصفاء ذهنه كان أعلم الناس » .

وقد يشير هذا إلى أولية النحو وبدء الاهتداء إلى مد القياس . على أن النخاعة حين هدوا إلى ذلك تسارعوا فيه وتواصوا به وتناهوا عن غيره ... سئل عيسى بن عمر الثقفي أتقول العرب السقر فأجاب نعم والزقر أيضاً . مالك ولهذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس .

فلم يكذب ينهي هذا القرن حتى كان النحو قد استوى علماً تاماً جامعاً كما نراه الآن في كتاب سيبويه .

وهذا هو العلم الذي نحاول أن نعرف كيف اشتق من الكلام العربي وكيف قررت أصوله .

في هذا القرن كانت اللغة العربية قد تعرضت لاضطراب شديد ، فقد تفرق العرب في البلاد التي فتحوها وامتزجوا بأهلها ونشأت الناشئة العربية في رعاية الإماء والأظفار من غير العرب ودرج على ذلك جيل وجيل حتى

(١) يقول :

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسماه مبعد وحيم

(٢) في قوله :

فأصبحوا قد أباد الله نعمتهم إذ هم قريش وإذ ما ملهم بشر

(٣) يقول :

بكت عيني وحق لها بكاء وما ينفي البكاء ولا العويل

ويقول غيره :

وأشرب الماء ما بي نحوه ظما إلا لأن عيونته سال وادبها



بالبادية وهو مذهب أبي عمرو بن العلاء وكان جمهور النحاة يرون أن يسموا بالبادية وأن يسموا من الأعراب الفصحاء الذين ينزلون الحضر ليرتزقوا برواية الأخبار والأشعار أو بتعليم من شاء من أبناء الأمراء أو الخاصة وكان لهم وظائف بحاشية الخليفة والأمراء . وابن المقفع أخذ البلاغة عن أبي ثروان أحد هؤلاء الأعراب وفي فهرست ابن النديم عدد كبير من هؤلاء الأعراب قال « وإنما ذكرتهم لأن العلماء أخذوا عنهم » .

وكما سمع النحاة بالبادية ومن فصحاء البدو الطارئين على الحضر سمعوا من مصدر ثالث يسترعى أنظارنا ، سمعوا من الموالي الذين صحبوا عند النحاة سليقتهم واستقامت ألسنتهم مثل خلف الأحمر والحسن البصري والمنتجع النبهاني وكان سندياً ، كما استشهدوا بشعر بشار وأبي نواس وأبان .

فالأصل الأول من أصول النحو الاستماع ممن سلمت سليقته وصحبت عربيته . أما الأصل الثاني فجاء من دقة نظر النحاة وفقههم لأسرار اللغة . وقد وفقوا في هذا إلى مدى بعيد .

رأوا أن المتكلم يجري في كلامه على قواعد ونظم يصدر عنها ولا يتجاوز سننها وإن لم يفطن لها وأخذوا يحاولون كشف هذه النظم وتدوينها وسموها علل النحو ثم غلب الإيجاز فسميت النحو .

درسوا حروف الهجاء فحددوا مخارجها وصفاتها وكشفوا عن خصائصها وأثر بعضها في بعض ، فحرفان لا يلتقيان في كلمة عربية

في هذا المزيج المضطرب أخذ النحاة يرصدون كلام العرب ليضعوا قواعده فرفضوا أن يسموا من أحد إلا من كان قد بقي محبوساً في البادية في جزء محدود منها رأوا أنه قد سلم من الإختلاط وهو الجزء الغربي من نجد وما يتصل به من السفوح الشرقية لجبال الحجاز وهو الذي يسمونه عالية السافلة وسافلة العالية ويقول أبو عمرو بن العلاء لا أقول قالت العرب إلا ما سمعت من عالية السافلة وسافلة العالية .

وكان يسكنها من القبائل تميم وأسد وطى وقبائل من قيس . وقد أخذوا عن طى وهى يمنية ورفضوا أن يأخذوا من سكان الحجاز وفيهم قريش وثقيف . ومن قبل هذا كان عثمان يقول لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف .

فهذا مأخذ النحاة من اللغة وكانوا يرحلون إلى هذه البوادي يطيلون الإقامة فيها يطلبون أولاً تقويم ألسنتهم واكتساب الملكة اللغوية الصحيحة ثم يجمعون من الألفاظ والأشعار والأخبار ما يكون مادة علمهم ووسيلة رزقهم وحظوتهم في الحياة . ويرقبون ما يسمعون ليضعوا القواعد وليختبروها . قال أبو زيد الأنصاري طفت في عليا قيس وتميم مدة أسأل صفيهم وكبيرهم لأعرف ما كان أولى بالضم وما كان أولى بالفتح من عين الثلاثي في المضارع فلم أجد لذلك قياساً يرجعون إليه وإنما يتكلم كل امرئ منهم على حسب ما يستحسن ويستخف لأعلى غير ذلك .

كان قليل من النحاة لا يرون إلا السماع

محدودة إذا خرج بناء الكلمة عنها رفضوا أن تكون عربية .

ولما رأوا تأثير الحروف بعضها في بعض والحركات أيضاً حين تبنى الكلمة نظروا تأثير كلمة في أخرى حين تولف الجملة وأحصوا هذا التأثير وأنواعه ووضعوا له أصولاً مطردة فقالوا إن الحرف قد يؤثر في الاسم أو في الفعل ولا يؤثر حتى يكون مختصاً بالكلمة التي يعمل فيها . فـ « لم » تعمل الجزم في الفعل لأنها تختص به ، و « من » تعمل الجر في الاسم لأنها تختص به ، و « هل » لا تعمل لأنها لا تختص بالاسم ولا بالفعل . وهذا مثل من آلاف تملأ كتب النحو بل في فلسفة النحو وعصب مناقشاته وقد جمعت منها عدداً في « إحياء النحو » .

ولما استقامت للنحاة هذه الأحكام أخذوا يفرضونها على كل ناطق بالعربية وعلى العرب أنفسهم .

خطئوا بها بعض الشعراء من فحول الجاهلية وناهيكم بالناطقة روى له قوله :

فبت كأني ساورتنى ضئيلة  
من الرقش في أنيابها السم ناقع

فقالوا كان ينبغي أن يقول « السم ناقعاً » أو « السم الناقع » .

ورفضوا بها بعض أساليب العرب : سمعوا من العرب « قاتل زيد عمرو » برفع الاسم فقالوا لا يكون ، ليس لنا فعل يعمل رفيعين ولو جاز هذا بلجاز « قاتل زيدا عمرا »

كالجيم والكاف والجيم والقاف والقاف والكاف والحاء والهاء . وحرقان إذا اجتماعا وجب أن يسبق واحد بعينه وهو الأقوى مثل « ورل » و « وتد » الراء تسبق اللام وليس في كلامهم « ل » بعدها « راء » في كلمة واحدة . وقد سمعنا العامة حين شاع اسم « هتلر » ينطقونه « هلتر » بتقديم اللام حتى لا تليها الراء وقد أبها سليقهم اللغوية من غير وعى أو فطنة لها . وفي القرآن الكريم « بل ران » يقرؤها حفص بسكنة خفيفة على اللام وليس حفص من القراء الذين يستعملون السكت ولكن هذه السكنة جاءت للتهيؤ للنطق بالراء بعد اللام .

وحرقان إذا اجتماعا أثر أحدهما في الآخر وقد يكون ذلك محتوماً وقد يكون جائزاً ومن ذلك الياء والواو في سيد والتاء في اصطير والسين في قسط والصاد في يزدق ويزدر وقرئ « حتى يزدر الرعاء » .

ولا تكون كلمة خماسية خالية من حرف من حروف الزلاقة الستة ( ف ر م ن ل ب ) قالوا فإن جاءك بناء يخالف مارسم مثل دعشق فانه ليس من كلام العرب فاردده .

وهذا كثير جداً في كتب النحاة المتقدمين (١) وإن قلت عناية المتأخرين به . وكأنا رأوا أن هذه اللغة قد غلب عليها الشعر والموسيقى فاتخذت كلماتها صيغاً مخصوصة وموازين

(١) أنظر ص ٢٤٥ آخر الجزء الثاني والمين ومختصره ومقدمة الجهرة — والسان في أول كل باب والزمزم — وتشرح الحروف للنضر بن شمير وسر صناعة الاعراب لابن جني .

بالرفع ورير أى لامخ في عظامها . وغضب  
الفرزدق فهجاه بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته  
ولكن عبد الله مولى موالياً  
فيقول عبد الله « بل قل مولى موالى » .

ثم يستسلم الفرزدق ويأتى بشعره فيقول  
أين هذا الذى يجر خصييه بالمسجد ليصلحه -  
يعنى عبد الله .

وقد كان بينهما طريق لطيف للتفاهم قال  
الفرزدق :

وعينان قال الله كونا فكانتا  
فعولان بالألباب ماتفعل الخمر

فسأله عبد الله هلا قلت « فعولين » فقال  
الفرزدق « لو شئت لسبجت » وانصرف ولم  
يفهم السامعون عنه فقال عبد الله أراد كونا  
فكانتا وسبحان من يقول كن فيكون .

وعمدوا إلى قراء القرآن فلم يقبلوا منهم  
كل ما رويوا بل خطوهم في بعض ما يقرؤون  
به : قرأ حمزة « واتقوا الله الذى تساءلون به  
والأرحام » بكسر الميم وهو أحد القراء السبعة  
وقرأ الباقر بفتحها فقال النحاة لا يعطف على  
مضمرة مخفوض إلا بإعادة خافضه فردوها  
وقال سيبويه هى عندى قبيحة لا تجوز إلا فى  
الشعر كما قال :

اليوم قد جئت تهجوناً وتشتبنا  
فاذهب فإبك والأيام من حرج

وقرأ ابن عامر وهو قارئ الشام من القراء  
السبعة أيضاً « وكذلك زين لكثير من المشركين  
قتل أولادهم شركائهم » « زين » بالبناء للمجهول

بنصب الاسمين فكان فعل بلا فاعل وهو  
محال .

وفضلوا بها لهجة على لهجة ، قالوا لغة  
تميم فى إهمال « ما » . أقيس من لغة الحجاز فى  
إعمالها لأن « ما » غير مختصة بالاسم وغير  
المختص لا يعمل .

وسموا تيمياً تقول « ليس الطيب إلا المسك »  
يرفع الخبز ، ولا ينصب تيمياً خبر ليس إذا  
انتقض نفيها فقالوا إن « ليس » لم تعمل من  
أجل النون فيبطل عملها إذا انتقض نفيها وإنما  
عملت لأنها من أخوات كان . وقد مضى على  
الألسن مارجحه النحاة .

خضعت للنحاة أقلام الكتاب قاطبة ،  
وخضع الشعراء ولكنهم لم يكونوا فى انقياد  
الكتاب وسرعة استجابتهم بل أثاروا خصومة  
عنيفة ، فالنحاة ينقذون ويخطئون والشعراء  
يهجون ويوجعون وتنتهى المعركة باستسلام  
الشعراء وتقدمهم إلى النحاة طائعين متبعين .  
وكانت معركة عنيفة طريفة ومن أطرف  
ما يمثلها خصومتهم للفرزدق كان ألياً شامخ  
الأنف يعز عليه أن يخضع للموالى فى لغته  
وكان حريصاً على أن يدرس النحاة شعره  
ويرووا قصائده وألا يضعوا من منزلته بين  
منافسيه بنقدم شعره . أنشد يوماً :

مستقبلين رياح الشام تضربهم  
بجاصب كنديف القطن منثور  
على كواهلنا يلتقى وارحلنا  
على زواحف تزجى منحها رير

فقال عبد الله بل النحو منحها رير أو رار



والمعري كما استشهد من قبلهم بشعر بشار وأبي نواس وخلف الأحمر واستمروا في بحثهم حتى استبحر النحو واشتغل به مع النحاة المتكلمون والفقهاء والفلاسفة بل اشتغل النحاة بهذه العلوم واتخذوا منها الوسائل لخدمة النحو ومزجوها بأبحاثهم وسموا كتبهم «أسرار العربية» و«سر صناعة العربية» ووصلوا في فقه اللغة إلى مدى بلغ بالنحو أوجه .

ثم شهدت الحياة العربية تلك الموجة الحنبلية الشعبية التي ردت الناس إلى القديم وبالغت في تقديسه وضائق ببعض البحث واستنكرت لباحثيه ولاننسى مالتى عالم المسلمين الإمام ابن جرير من جمهور الحنابلة حياً وميتاً . كانت هذه الموجة من عقبي تطرف المعتزلة والمأمون والتورط في إكراه الناس على قول في خلق القرآن وليس في الفلسفة إكراه ولا في الدين إكراه ولكن المأمون يستند لسند توهمه من الفلسفة ومن الدين دأب على محنة الناس برأيه ودأب المعتصم بعده حتى كره الجمهور المعتزلة والفلسفة والرأى وأعجب بجلد الإمام ابن حنبل وخلبه تضحيته فدخل الناس في الحنبلية أفواجاً وتطرفوا كما تطرف المأمون وكان تطرف الجمهور أعنف وأعصف فصاعت المجاهرة بالرأى والمناقشة فيه وعطلت مجالس المناظرة في البحث وهي تدين العلم بكثير وجمجم العلماء بأرائهم . وابن جنى في أول الخصائص يتساءل هل اللغة بإلهام أم باصطلاح ويعطى كل دليل على أنها اصطلاح ثم يقول وما زال الرأى يضطرب في نفسى والحجج تتعارض فإن بدا لى من بعد رأى كتبته . وأخذ في توجيه كل قراءة شاذة

و«قتل» بالرفع و«أولادهم» بالنصب و«شركائهم» بالجر . فأضاف المصدر إلى الفاعل وفصل بينهما بالمفعول - ورد النحاة هذه القراءة لأنهم لا يميزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه في مثل هذا ثم قال الزنجشري «إن الفصل بينهما لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً فكيف به في القرآن المعجز .

ومثل هذا غير قليل بين القرء والنحاة في هذا العصر .

أما الحديث فقد رفضوه جملة قالوا : رواه لا يحسنون العربية فيلحنون فلاحجة في الحديث ولا استشهاد به .

ولقد مكن النحاة من فرض آرائهم ما بيناه من اضطراب اللغة واختلاط اللهجات فكانت شريعتهم «نأخذ بالأغلب ونقول ما عداه لغات» وليس من شك في أنهم ساعدوا بذلك على تهذيب اللغة وطرد قواعدھا وطرح شواذھا فاللغة التي تجرى بها أقلامنا وألسنتنا لغة عربية نحوية للنحاة في طرد قواعدھا أثر ذو قدر .

قرأ القراء «الحمد لله رب العالمين» فنصب الدال بعضهم وخفض آخرون في كثير غير هذا من القراءات الشاذة التي صح سندھا ولكن النحاة صرفوا الناس عن قراءتها فشذونها .

فلذا انتهى القرن الثاني فقد ضعف شأن البادية ولغتها وقلت الرحلة إليها أو انقطعت وأخذ النحاة يستشهدون بمن وثقوا بعربيته من الشعراء كأبي تمام والشريف الرضى

كانوا يتناولون الأدوية والعقاقير لفتح رؤوسهم لما يحشر فيها من العلم .

حكى بهاء الدين صاحب سيرة صلاح الدين أنه لما كان بالمدرسة النظامية اتفق أربعة أو خمسة من المشتغلين بالطلب على استعمال حب البلاذر ليقوى حفظهم ويحميهم من النسيان ، وسألوا طبيباً جاهلاً فأخطأ التقدير واستكثر لهم ، فلما خرجوا ليستعملوه جنوا ولم يدر أحد ماجرى لهم . وبعد أيام جاء إلى المدرسة واحد منهم وهو عريان وجلس في سكون وصمت وتوقر لا يتكلم ولا يعبت ، فلما تقدم واحد ليسأله قال : اجتمعنا وشربنا حب البلاذر فأما إخواني شفاهم الله فإنهم جنوا وما سلم إلا أنا . اهـ .

وفي كتب الطب أن حب البلاذر نافع من النسيان وذهاب الحفظ وإذا شرب منه نصف درهم نفع لجودة الحفظ والله أعلم .

ولم يكن النحو مما حرم من العلوم بل أحل واستكثر منه لأنه علم لفظي ولكنه اتخذ سبيل زمنه في الدرس من جمع الآراء واختصار المتون ونظمها وشرحها . وكتبنا في النحو هي إرث هذا الزمن ؛ فهي أوسع كتب النحو جمعاً للآراء المختلفة وسرداً للمذاهب المتقابلة ؛ لانحفظها حتى ننساها وحتى تهتم أيدينا أن تمتد إلى حب البلاذر .

لأنها ثروة مستفيضة واسعة حتى كانت من عيوبها سعتها ، فإنها تمدنا بالحكم ونقيضه في الموضوع الواحد . وقد لا يعجز نحوي أن يجد توجيهاً لقول يقوله . وما ينبغي أن يكون كذلك النحو .

وكتابه « المحتسب » جمع فيه القراءات الشاذة وجاهد في توجيهها والاحتجاج لها ، وقرر أن كل قراءة شاذة يحتج بها في العربية . ولو كان ذلك من رأى أسلافه ما شذذها . على أن الحنبلية لم تؤثر في النحو ولا في نشاط البحث ما أثرت المحنة التي لقيتها من إنشاء المدارس الموجهة والمنشأة للتلقين ولتأييد مذهب : مدارس يرزق معلموها ويكفي متعلموها كل حاجة ليدرسوا علوماً تحدد ، في خطة ترسم ، تأييداً للمذهب يقصد ، كما فعل الفاطميون بالأزهر حين أنشئ وكما فعل « نظام الملك » في إنشاء المدارس النظامية ببغداد وغيرها ؛ فقد أحلت علوم وحرمت علوم . وحفظنا في حق المنطق « فابن الصلاح والنواوي حرماً » وما أحل من العلوم فسبيله التلقين والحفظ والرواية . وبزغ نجم الحافظة وطغت أسماء الحفاظ وفازوا بأكبر الإعجاب ، واحتيل لحفظ العلوم باختصار المتون وبالرمز فيها وبنظمها . وروينا « من حفظ المتون حاز الفنون » وحفظنا من الرموز أمثال :

كوى كبدى كرير لى بلحظ  
كأن به لقلب الحب نارا

وهذا في المنطق وفي صور القياس . وكم يتوارد على الآن من هذه الرموز فتتحرك شفتاي عجباً بل هزءاً مني ، كيف صبرت لهذا فحفظته ، وكيف قدرته علماً فزهوت به ؟ ولكنه حكم الجليل بل حكم الزمان .

وليت ذلك كان كافياً للمتعلمين في عونهم على حفظ ما كتب عليهم . فقد يروى أنهم

وهو ميزان القول وقانونه وما كان كذلك بين أيدي نحائنا المتقدمين .

ليس لنا من سبيل في النحو إلا سبيل النحاة الأولين الذين وضعوا النحو في القرن الثاني وطرف من الثالث ، ورأيانهم قد استنبطوا قواعدهم بمراقبتهم للغة أهل البادية زمناً وللغة من وثقوا بعربيته من العرب والمتعربين .

فإذا أردنا أن نتأثر سبيله فعلينا أن نقوم بأمرين : الأول أن ننظر في آثار أدبائنا من الكتاب والشعراء . فن رأيانهم سليم الأسلوب صحيح العربية وثقناه وجعلنا كلامه مدداً للغة وحجة في النحو ، وقد وثق المتقدمون كبار شعرائهم واحتجوا بأقوالهم من بشار إلى المعري . فإن كان في آثار أدبائنا من يسائر أولئك في بيانه وسلامة أسلوبه أعطيناه من الحق ما أعطى له ولم يكن عملنا بدعاً من عمل ما قبلنا ؛ فالأديب السليم السليقة أحسن تصرفاً في اللغة وأدق ذوقاً لها وأفصل بحكمها من نحوي حفظ نحو عصرنا على اضطرابه واختلاف أحكامه . وإن عمل الأديب الممتاز بكل وقت وفي كل لغة هو الثروة الحقيقية والمدد المحيي لها .

وقد كان من عمل المجمع أن نوه بآثار بعض الأدباء وأجاز بعضهم . فن كمال هذا التنويه أن يقرر أن هذا الأديب سليم العربية نقي العبارة ؛ وإن هذا ليزيد صلة المجمع بالأدباء

وقدرته على توجيه الأدب .

الثاني : أن نعمل على تجديد النحو بأن نستخدم في بحث اللغة كل الوسائل العلمية التي تمكن من درس اللغة وفقهها وكشف أسرارها كما فعل المتقدمون ، ولدينا الآن من الوسائل أكثر مما كان بين أيديهم من مغامل الصوت ونظريات ، ومن علم اللسان العام ، ومن المقارنات بين اللغات ، وهي وسائل لو أنها قد هيئت للمتقدمين ، لما توانوا عن استخدامها وحسن الانتفاع بها .

### الاقتراح

واقتراحي الذي أتشرف بتقديمه إلى المجمع

هو :

أولاً : أن ينظر في آثار أدبائنا من الكتاب والشعراء ، وربما حسن أن تقتصر على من مضى به التاريخ مدة لا تجعل للنودة أو غيرها شبهة الأثر في الحكم ، فن رأي المجمع صحة أسلوبه واستقامة عربيته وثقه وجعل قوله مدداً للغة وحجة فيها .

الثاني : أن نسعى لدى الهيئات التي تتصل بدرس النحو واللغة وأن نتعاون معها في وضع درس النحو على أسس من الدراسات اللغوية الحديثة وعلى الإكثار من البعثات لدرس علوم اللغات بأوروبا وأمريكا والتخصص فيها حتى يكون لنا من هؤلاء الدارسين بقدر ما لنا الآن من العلماء في نحو « ألفية ابن مالك » .